دور نشوء الأمصار في القرن الاسلامي الأول في تكوين المدارس الفكرية الاسلامية

اياد صادق عبد الأمير القاموسي
كلية الفقه – جامعة المصطفى الأمين

الملخص

بُني البحث على رأي ذكره المرحوم الدكتور عبد الأمير الورد(1933م – 2006م) نقلاً عن ابي عبد الله سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي اليماني(747ه – 807ه) مفاده أن كل مدرسة فكرية لها اتجاه علمي مستقل كل الاستقلال عن المدرسة الأُخرى وليس اختلاف بين مدارس نحو وصرف ولغة فقط بل أوسع بكثير وهو اختلاف علمي بين المناهج والاتجاهات؛ وهما مدرستي الكوفة والبصرة اللتين مصّرها المسلمون في بدء عهدهم بالفتوح في القرن الاسلامي الأول. و قسم البحث الى محورين رئيسين يتحدث المحور الأول عن نشوء الأمصار الاسلامية في القرن الاسلامي الأول والتركيبة القبلية لكل مصر ونشأة العلوم فيه والمنهج الذي اتخذه كل مصر وما شاع وظهر فيه من العلوم، كما تحدث عن المدن الرئيسة التي كانت مسرحاً لظهور الاسلام وانتشاره كمكة والمدينة ثم دمشق والشام والدراسة والعلوم فيها والتي تمثل الطابع العام للدولة الاسلامية الذي كان الاتجاه النقلي المعتمد علية. والمحور الثاني يتحدث عن الاستنتاجات والنتائج التي يستخلصها الباحث من النصوص والأحداث التاريخية والدور الذي قدمته لكل مدرسة مشفوعة بالنتائج التي تقوّم الاستنتاجات.

كلمات مفتاحية : الامصار ، اسلامي ، فكري

The Role Of The Emergence Of Cities In The First Islamic Century In The Formation Of Islamic Schools Of Thought

Iyad Sadiq Abd al-Amir al-Qamosi
Faculty of Jurisprudence - Al-Mustafa Al-Amin University

Summary

The research is based on an opinion mentioned by the late Dr. Abdul Amir Al-Ward (1933 AD - 2006 AD) quoting Abu Abdullah Siraj Al-Din Abdul Latif bin Abi Bakr Al-Sharji Al-Zubaidi Al-Yamani (747 AH - 807 AH) that each school of thought has an independent scientific direction that is completely independent from the other school and not There is a difference between schools of grammar, morphology, and language only, but it is much broader, and it is a scientific difference between curricula and trends. They are the schools of Kufa and Basra, which the Muslims destroyed at the beginning of their era of conquest in the first Islamic century. The research was divided into two main axes. The first axis talks about the emergence of Islamic cities in the first Islamic century, the tribal structure of all of Egypt, the emergence of sciences in it, the approach adopted by all of Egypt, and what was popularized and appeared in it of sciences. He also talked about the main cities that were the scene of the emergence and spread of Islam as Mecca and Medina, and then Damascus and the Levant and the study and sciences therein, which represent the general character of the Islamic state, on which the transmission direction was based. The second axis talks about the conclusions and conclusions that the researcher

draws from texts and historical events, and the role that each school presented, along with the results that evaluate the conclusions.
Keywords: Al-Amsar, Islamic, intellectual

المحور الأول:

بعد وفاة الرسول الكريم (ص) في السنة الحادية عشرة بعد الهجرة "كانت مشكلة الحكم أعنف مشكلة جابهها المسلمون...إذ لم يكونوا كتلة واحدة ففيها جماعة المهاجرين وجماعة الأنصار كل منهما تنقسم احزاب فمرت الامة الاسلامية بدور حرج كان له أبلغ الأثر في تطور الخلافة "[1] وانقسم المهاجرون الى مؤيدين للامام علي عليه السلام ولياً لإمرة المسلمين بعد الرسول(ص) مستندين الى بيعة غدير خم. وقسم آخر أيد انتخاب أبي بكر(رض) خليفة للمسلمين في سقيفة بني ساعدة نتج عنه تكوين نظام الخلافة الاسلامية. اما الأنصار فقد تشتت جمعهم بعد سقيفة بني ساعدة.

وبعد القضاء على فتنة الردة ووفاة ابي يكر(رض) واستخلف عمر بن الخطاب(رض) فتح بلاد الشام واتجه لفتح فارس فأنشأ مصرين هما الكوفة والبصرة ليكونا قاعدة للجيش الاسلامي.

ولاشك إن الصراعات السياسية بعد مقتل الخليفة عثمان (رض) كان لها أثر بالغ على الأمصار الأسلامية خاصة وإن حرباً ضروساً نشبت بين مصرين هما البصرة والكوفة لم يمض عشرون عاماً على تمصيرهما الا وهي حرب الجمل. وتلتها حرب طاحنة أخرى (صفين) لتنتهي مأساتها بأغتيال الأمام علي (ع) على يد خارجي طمعاً لزواجه بخارجية جميلة وأنتقاماً لمقتل أخويه.[2]

وإذا رُجع الى الوراء قليلاً فإن مقتل الخليفة عثمان (رض) كان نتيجة احتجاج مصر ثالث عليه هو الفسطاط بمصر لتكون فتنة كبرى أبتلى العالم الأسلامي ويلاتها وأكتوى بنارها[3]. كان من ذلك أن اصبحت البصرة عثمانية والكوفة علوية والشام اموية والفسطاط تدب فيها الفتنة بين أصحاب علي ومعاوية لتنتهي بسيطرة الحزب الأموي فيها.[4]

اما مكة والمدينة فقد كانتا بعيداً عن صراعات الامصار بالرغم من رجالّها هم قادة تلك النزاعات فعلي وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومحمد بن أبي بكر والسيدة عائشة زوج الرسول، كلهم من مكة ومنهم من هاجر مع الرسول (ص) الى المدينة ولهم صحبة معه.

وبنى الحجاج واسط، واختلف الباحثون في بناءها فذكر بحشل "ان الحجاج اشترى الأرض في سنة 75ه وأقام فيهاوأمر بالبناء فبنى القصر والمسجد والسورين وحفر الخندق في ثلاث سنين وفرغ منها سنة ثمان وسبعين"[5] . أما ابن قتيبة والطبري فقد ذكرا ان الحجاج بنى واسطاً سنة 83ه[1]

---

[1] الدوري: عبد العزيز(1919م– 2010م): النظم الاسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2008: 28–29

[2] المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (....–346ه) مروج الذهب ومعادن الجواهر، تح: يوسف اسعد داغر، ط3، دار الاندلس، بيروت، 1978: ح2: 411.

[3] المسعودي: ح2: 344–345.

[4]

[5] بحشل: اسلم بن سهل الرزاز الواسطي(ت292ه/ 905م): تاريخ واسط،تح، كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، 1406ه/ 1986م:38. وفي الهامش اشار المحققعن الحموي: معجم البلدان:4: 838 شرع الحجاج في عمارة واسط سنة 84ه وفرغ منهافي سنة 86ه فكان عمارتها سنتين؛ ابن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج علي بن عبد

ويذكر بحشل "ان الحجاج ما كان يدع أحداً من أهل السواد يبيت بواسط فإذا جاء الليل اخرجوا من واسط ثم يعودون بالغداة في حوائجهم"[2] وهذا ما يدل على أن المدينة كانت شبه مغلقة.

كما "ان التركيبة القبلية لكل مصر اختلفت عن المصر الآخر ففي البصرة يظهر إن السيادة فيها كانت تتذبذب بين ثلاثة (كذا) قبائل كبرى وهي تميم وبكر بن وائل والأزد"[3] (ازد عمان) "ثم تليها العالية وعبدالقبس وقيس وربيعة. ويلاحظ ان نسبة القبائل المضرية فيها أكثر من القبائل القحطانية اليمانية. وكان شائعاً في البصرة من تطاحن القبائل بعضها ببعض"[4]، "أما الكوفة فيبدو إن اليمانية كانوا أكثر عدداً تجاه القبائل النزاريه فكان اليمانيون اثنا عشر ألفاً والنزارية ثمانية آلاف"[5] "وقد سكن اليمانيون الجانب الشرقي اما النزاريون فكانوا في الجانب الغربي"[6] "والقبائل التي سكنتها كنانة وجذيلة وقضاعة وبجيلة وخنعم وكندة وحضرموت والأزد والرباب وهوزان واسود وغطفان ومحارب والنمر وطبيبة وتغلب وإياد وعك وعبدالقيس واهل هجر والحمراء وطي"[7] "وقد أسندت القبائل بعضها بعضاً لتشيعها لعلي وولده."[8]

اما الشام فقد استوطنها القبائل العربية من قبل وهذا ما سهل عليها الاستقرار فيها وكانت في زمن ابي بكر (رض) وبعد دعوته للجهاد حمير وتبعتهم مذحج وطي والازد (ازدغسان) وعب وكنانه. وتقدمت لفتح الشام كلاب وهوزان وثقيف... ورجعت لها قبائل من قيس دون ان تشترك في البعوث الى تلك البلاد[9]، اما مصر فقد كانت الحضارمة فيها كثيرون[10] مع قبائل عربية اخرى امتزجوا مع المصريين القدامى.[11] ولم اقف على أهل واسط ومن سكنها سوى ما ذكره بحشل بأن الحجاج لم يسمح لأهل السواد المبيت فيها.

وقد طرأ تغيير كبير على حياة القبائل العربية بعد تنقلها الى الامصار ذلك ان اقامتها في المدن جعلها تتجه نحو الاستقرار والى الحياة الحضرية مع الكثير من المفاهيم القبلية بقيت إلا إن القبائل اصبحت جزءاً من مجتمعات مستقرة ولم تبق دور الهجرة (الامصار) مراكز عسكرية بل تحولت الى مجتمعات حضرية نشيطة بمختلف الفعاليات المدينية.[12]

الرحمن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، 1431هـ-1432هـ/ 2010م:4: 341-342. ويبدو أنه نقله عن بحشل.

[1] ابن قتيبة: المعارف، تح، ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، 1969م: 357؛ الطبري محمد بن جرير (ت310هـ): تاريخ الامم والملوك، تح، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1971م:6: 383.

[2] بحشل: 41.

[3] حسن: د.ناجي، القبائل العربية في المشرق خلال العهد الاموي، منشورات، اتحاد المؤرخين العرب – بغداد، مطبعة التميمة، بيروت 1980: 93.

[4] م.ذ: 79.

[5] البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر (.... – 279هـ) كتاب فتوح البلدان، تح: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1956م: 339 – 340.

[6] م.ذ: 339.

[7] حسن: 78.

[8] م.ذ: 79.

[9] م.ذ: 65.

[10] امين: د.احمد، فجر الاسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت 1969م: 191.

[11] م.ذ: 189.

[12] الدوري: عبدالعزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، بيروت، 1969: 36.

ولعل للتركيبة القبلية وللاحداث السياسية جعلت كل مصر من الامصار يقف تجاه المصر الآخر وقفة يشوبها حذر وحيطة او له نظرة تخالف ما يراه المصر الآخر سواء شعروا بذلك ام لم يشعروا، رضوا به او لم يرضوا.

واذا اريد التساؤل عن ذلك وسببه فهل كان فعل ورد فعل ام هو التحدي والاستجابة كما يراها توينبي ام هو صراع حضاري بين الفاتحين الجدد وبين الشعوب المغلوبة التي كانت تحكمها ثلاث حضارات ساسانية ورومانية ورومانية مصرية..وحضارات اخرى مؤثرة فيها كالصينية والهندية.

ومهما كانت الاسباب فالنتائج كانت واضحة فقد اتخذ كل مصر طريقاً خاصاً يختلف عن المصر الآخر سواء كان في الاتجاه السياسي او الاجتماعي او الثقافي وحتى الاقتصادي وان كان الطابع العام لتلك الامصار انها اسلامية وتعود لسلطة مركزية واحدة.

وقد برز كل مصر في اتجاه ثقافي يختلف عن الآخر او اخذ منحى يغاير المصر الآخر في الموضوع الواحد ففي الفقه كان المحدثون واصحاب الرأي وفي الاقراء ظهرت القراءات السبعة وفي النحو كان القياس والسماع. ولعل هذا كان اللبنة الاولى لنشوء المدارس العلمية الفكرية في الثقافة العربية الأسلامية.

لقد اهتم عمر بن الخطاب (رض) بالأمصار الجديدة اهتماماً بالغاً فأرسل الى تلك الامصار قراءً يُقرؤون الناس القرأن الكريم ويعلمونهم شرائع الاسلام فكان لذلك الأمر أثره الواضح في نشوء مدارس الامصار الأقرائية التعليمية التي تطورت فيما بعد لتتطور الى مدارس ذات طبيعة منهجية خاصة تمثلت بظهور مدرستي الكوفة والبصرة[1] كما ان للقراء اثرهم في ظهور اتجاهات التفسير واللغة كما كان للرواية ايضاً في ظهور الرواية التاريخية والأدبية والشعر[2]. وقد أكد هذا التمايز بين المدارس الفكرية وخاصة بين البصرة والكوفة. الشرجي الزبيدي اليماني في مقدمة كتابه أئتلاف النصرة حيث ذكر الأختلاف بينهم لم يكن فقط في المسائل النحوية وانما اختلافهم في سائر انواع العربية[3] فأنها مسألة اتجاه علمي مستقل الأستقلال كله في هاتين المدينتين العظيمتين اللتين مصرها المسلمون بعد عهدهم بالفتوح كما يرى الدكتور عبدالامير الورد[4]. كما إن اشتراك الصحابة في البعوث والفتح سبباً في انتشار الحديث النبوي ونشوء الرواية وعلمي السيرة النبوية والتاريخ وتدوينهما والرحلة في طلب العلم.

ولابد ان تتبادل الاتجاهات الثقافية لكل مصر دائرة في نشوء المدارس واثرها في تطور الحياة الثقافية والفكرية الاسلامية.

وسنعرج أولاً على الحجاز (مكة والمدينة) قبل ان تتبادل الامصار العربية لما للحجاز من دور فعال في نشوء الحياة الفكرية والثقافية للعالم الاسلامي. انعزل الحجاز (مكة والمدينة) عن الحياة السياسية بعد مقتل الخليفة عثمان (رض) ولعل للحج اثر بالغ في تثبيت الاواصر بين مكة والامصار خاصة وانها مهبط الوحي ودولة الرسول والمهاجرين. وقد خلف الرسول بعد فتحها

---

[1] حمود: د.هادي حسين، عامر الشعبي والحركة الفكرية في العراق في القرن الاول الهجري، المكتبة العصرية، بغداد 1418هـ/ 1998م: 8.

[3] الشرجي: ابو عبدالله سراج الدين عبد اللطيف بن ابي بكر بن احمد بن عمر الزبيدي اليماني (747هـ – 802هـ) 802هـ) كتاب ائتلاف النصرة في اختلاف الكوفة والبصرة، تحك طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت ، مكتبة النهضة العربية بغداد، بيروت 1987: 24– 25.

[4] الورد: عبدالامير محمد امين، المدارس النحوية بين التصور والتصديق، المكتبة العصرية، بغداد 1997م: 41.

معاذ بن جبل يفقه اهلها ويعلمهم الحلال والحرام ويقرأهم القرأن. ومعاذ من افضل شباب الانصار علماً وحلماً وسخاء وقد شهد المشاهد كلها مع الرسول (ص).[1]

وكان ابن عباس يجلس في البيت الحرام ويعلم التفسير والحديث والفقه والادب ولأبن عباس يرجع الفضل فهو اكثر الصحابة قدرة على التأويل ( ) وما ورد في التفسير للقرأن واسباب نزول فيما كان لمدرسة مكة من شهرة علمية وحساب الفرائض والمغازي وله إلمام في معرفة الكتب الاخرى كالتوارة والانجيل وهو كذلك العالم بأنساب العرب وايامهم.[2]

وأشهر من تخرج من هذه المدرسة من التابعين مجاهد بن جبير وعطاء بن ابي رباح وطاووس بن كيان[3] وثلاثتهم موالي واستمرت هذه المدرسة قائمة تتلقى العلم طبقة عن طبقة حتى كان من الطبقة الخامسة سليمان عينيه ومسلم بن خالد الزنجي وكلاهما من الموالي أيضاً وقد أخذ عنهما الامام الشافعي علمه[4]. وقد فاقت المدينة مكة في العلم لان اشهر من اسلم من اهل مكة هاجر اليها ... وكانت مقصد من يريد الاسلام في عهد النبي (ص) ... وكثير منهم كان يريد ان يقيم بجوار النبي يشاركه في غزواته ويتعلم منه ويتعبد معه ويسمع منه[5] ثم كانت مقر الخلافة... وقد اشتهر فيها كثير من الصحابة العلماء كعمر وعلي وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس قبل ان يذهب الى مكة، وزيد بن ثابت والسيدة عائشة ومعاذاً وأبي الدرداء إلا ان اوفرهم علماً فيماً تكاد تجمع الروايات علي وعبدالله بن عباس[6] وبرز فيها من طبقة التابعيين سعيد بن السيب وعروة وعروة بن الزبير واخذ عن هذه الطبقة ابن شهاب الزهري وقد حفظ فقه علماء المدينة وحديثهم[7].

وقد نشط الشعر في الحجاز وخاصة الغزل وظهر التشبيب بالنساء وكان مثلاً عمر بن ابي ربيعة الذي كان يتشبب بالنساء وكن يتعرضن له عسى ان يذكرهن شعراً وكان صاحبه ابن ابي عتيق ملازماً له. وبالمقابل ظهر الغزل العذري وبرز فيه قيس لبنى وقيس ليلى وجميل بثينة وكثير عزة ونصيب بن رباح.

وجنباً مع الاقبال على الشعر انتشر الغناء في المدينة ليصل فيما بعد قصور الخلافة في دمشق وبغداد وكتاب الاغاني لابي فرج مملوء بأخبارهم.

وتعد الكوفة من اهم الامصار الاسلامية حيث نزلها ثلثمائة من اصحاب الشجرة وسبعون من اهل بدر[8] وقد اهتم بها الخليفة عمر فارسل لها مجموعة خيرة من الصحابة لادارتها وتعليم اهلها القرأن والفقه[9] كان منهم عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً.[10]

ويعد جامع الكوفة اقدم مؤسسة علمية وكان قوامه الصحابة الذين هبطوا ارض الكوفة وكان مكاناً للقضاء تحل فيه مشاكل المسلمين[11]. وكانت الكوفة منذ القرن الاول مدرسة لعلوم القرأن

---

[1] ابن سعد: محمد بن سعد (... – 230هـ) الطبقات الكبرى، دار صادر، دار بيروت، بيروت 1376هـ/ 1957م: 5، 328.

[2] الشكعة: مصطفي، منهاج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين 1982: 20ز

[3] امين: 174.

[4] م.ذ: 174.

[5] م.ذ: 172.

[6] ابن سعد: جـ2: 101، الشكعة:20.

[7] امين: 175.

[8] ابن سعد: 6، 9.

[9] حمود: 35.

[10] ابن سعد: 6، 9.

[11] الحيكم: حسن عيسى، الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي، العارف للمطبوعات، بيروت:199.

فمن ابرز شيوخها الامام علي (ع) وعبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فكانوا يقرئون الناس القرأن ويفسرون آياته وكان التفاف الناس حولهم كدوي النحل في جامع الكوفة[1]. وكانت مدرسة الكوفة قد تفرعت منها دراسات عامة واسعة النطاق كالدراسات القرأنية والدراسات الحديثية والدراسات الفقهية والدراسات اللغوية والنحوية والدراسات الكلامية والفلسفية والدراسات التاريخية والرجالية.[2]

وكان اشهر فقهاء الكوفة بعد ابن مسعود شريح القاضي وابراهيم النخعي وعامر الشعبي الذين كانت لأراء الامام علي دورها في افكارهم الفقهية اضافة لما تمتعوا به من علم واجتهاد.[3]

واما علم الحديث فقد ارسى الامام جعفر الصادق قواعده في الكوفة وكان يحدث بالحديث الصحيح ... وكان إبان بن تغلب من اكثر اصحاب الامام الصادق اتصالاً به[4] ومما يؤكد انتشار علم الحديث في الكوفة هو ان عدداً من شيوخ الامام احمد بن حنبل في الحديث كانوا من الكوفيين.[5]

وعرفت الكوفة بمدرسة الرأي الفقهية بزعامة ابي حنيفة النعمان واذا قيل اهل الرأي يقال اهل الكوفة[6]... ويرى الدكتور حسن الحكيم ان هذه الاقوال مبالغ فيها وتفتقر الى الدقة فان فقه اهل البيت كان هو السائد في الكوفة وان اهل الرأي يمثلون تياراً فقهياً[7]. ومما يؤيد ان ابن قتيبة عند ذكره لاهل الرأي يذكر اشخاصاً ليسوا من اهل الكوفة.[8]كمالك بن أنس والأوزاعي وابن أبي ليلى وزفر وسفيان الثوري وربيعة الرأي فمنهم من لم يرَ الكوفة ومنهم من عاش بمكة ومنهم من ظهر ببغداد. [9] كما أن مدرسة أهل البيت لم تكن تعتمد على الحديث فقط وانما اعتمدت المنهج النقلي والمنهج العقلي ، إذ "أن الأئمة عليهم السلام كانوا قد شجعوا أصحابهم من المتكلمين على ممارسة نمط من الأدوات الكاشفة عن العلم والمعرفة بالمناظرة والاستدلال بالعقل وهو أخذ منهج البرهان بالعقل عند الشيعة." [10] وبذلك تكون قد اعتمدت المنهج التكاملي.

ولم تقتصر الكوفة على القراءات القرأنية والتفسير والفقه وانما ظهرت المحاولات الاولى للدراسات الادبية والنحوية. وكذلك الروايات التاريخية التي سيكون طابعها المميز في العهود التالية[11]. وتعد مدرسة الكوفة النحوية مقابل مدرسة البصرة اللغوية وبينهما خلافات ومحاورات ويكاد لا يوجد كتاب في النحو الا واشار الى هذه الدراسات الخلافية. وألف الانباري كتاب

---

[1] الحكيم: 203 – 204.

[2] م.ذ: 203.

[3] حمود: 36.

[4] الحكيم: 204.

[5] الحكيم: 205.

[6] م.ذ: 205.

[7] م.ذ: 205.

[8] ابن قتيبة: ابو عبدالله محمد بن مسلم (213هـ – 276هـ) المعارف، تح: ثروت عكاشة: مطابع دار المعارف، القاهرة 1969: 494 – 500

[9] م.ذ : 494 – 500

[10] علي: عدنان محمد حسن: مراحل التطور التاريخي والمنهجي لعلم الرجال عند الشيعة الامامية الأثنا عشرية، اطروحة تقدم بها الى مجلس كلية التربية الجامعة المستنصرية باشراف أ.د.م سامي حمود الحاج جاسم، بغداد، 1434هـ/ 2013م: 134.

[11] حمود: 37.

الانصاف في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين، وألف الشرجي اليماني أئتلاف النصرة في الاختلاف بين الكوفة والبصرة، وغيرها.

اما البصرة فأنها تختلف عن الكوفة بعدة نواح ... فسكانها اغلبهم من القبائل العربية التي كانت تقيم في شرقي الجزيرة العربية... وكانوا في البداية قليلي العدد... ثم اخذ يتزايد عددهم بسرعة فائقة وكبيرة... وكانت البصرة تقع على ممر عدة طرق تجارية مهمة ولذلك سرعان ما اصبحت مركزاً لحياة اقتصادية نشطة[1]... وكانت ملتقى للقادمين من البادية بالحضر المقيمين فيها بتبادل السلع... وازدهرت فيها الحياة ونشطت التجارة وصارت المواسم التي يفد اليها الاعراب... ينشد فيها الشعراء اشعار وينتابها الفصحاء من الاعراب وعلماء البادية ورواة الاخبار والايام واخذت حلقات الدرس تقام في المربد الذي كان ميداناً فسيحاً لذلك ومتنفساً واسعاً للخطباء والشعراء والادباء[2] ولعل هذا كان سبباً لنشوء مدرسة البصرة النحوية خاصة ان عدد الصحابة يقل بكثير عن الكوفة حتى قيل ان سبعين بدرياً دخلوا الكوفة بينما لم يدخل البصرة الا عتبة بن غزوان[3] لذا لم تتبلور العواطف الدينية فيها[4]، وكان مسجد البصرة الجامع مجمعاً للعلماء والفقهاء والمحدثين والمقرئين والقصاص واللغويين. وفيه تعقد مجالس الدرس وحلقات الشيوخ وكان من اشهر شيوخها الحسن البصري المتوفى (110ه) فقد كان مقرئاً اتبع طريقة عبدالله بن عباس في التفسير واللغة[5] وكان اهتمامه بالقرأن وفقهه والاستنباط للاحكام والنظم الاجتماعية التي تحملها اياته[6]، وكان واصل بن عطاء مؤسس الاعتزال ومذهبه في البصرة[7] اما السختياني فكان من المحدثين له مجلسه في المسجد[8] وحماد بن سلمه المحدث اللغوي ويصحح الحديث لغةً.[9]

وكان ابو الاسود الدؤلي واضع اسس النحو وفتح بابه ونهج سبيل العربية ووضع قياسها[10]. وكفى البصرة ان يخرج فيها الخليل بن احمد الفراهيدي وسيبويه وعمرو بن العلاء وعيسى بن عمرو الثقفي ... وغيرهم، ويلاحظ ان البصرة خرّجت علماء كانوا منظّرين لعلوم ومذاهب اسلامية اشهرهم ابو الاسود وواصل بن عطاء والخليل بن احمد والحسن البصري ... وغيرهم.

وكانت مصر (الفسطاط) بعلماء اشهرهم عبدالله بن عمرو بن العاص صاحب الصحيفة االصادقة والليث بن سعد وكان تأثيرهم على الثقافة الاسلامية واضحاً ولا ننسى ان مصر هي نتاج مدرسة الاسكندرية العلمية الفلسفية. كما ظهرت فيها مرسة جديدة فيما بعد هي مدرسة الفاطميين التي كان لها اثر في تطور ونشوء مدرستهم الفكرية والحضارية في بناء القاهرة وتأسيس مكتبتهم التي كانت تتنافس مع بيت الحكمة في بغداد والأندلس.

اما الشام فقد اشتهر فيها الاوزاعي الامام الذي كان اثره كبيراً في الاندلس وقد بقيت الاندلس تأخذ برأيه وفقهه حتى ظهور فقه الامام مالك الذي انتشر في الاندلس وشمال افريقيا. وقد بقيت

---

[1] العلي: احمد صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط2، دار الطليعة، بيروت 1969: 17، 18.

[2] الحديثي: خديجة، المدارس النحوية، ط3، دار الامل، اربد– الاردن 1422هـ/2001: 26–27.

[3] حسن: 93.

[4] م.ذ: 93.

[5] الحديثي: 28.

[6] م.ذ: 28.

[7] م.ذ: 28–29.

[8] م.ذ: 29.

[9] م.ذ: 29.

[10] ابن قتيبة: 30–31، الحديثي:29.

الشام متأثرة بالبزنطنيين والاتجاه الأموي تابعة لمدرسة أهل الحديث والجبرية واصحاب المنهج النقلي خلال القرن الاسلامي الأول بالرغم من وجود الخلافات بين البيت الأموي نفسه.

ولم يظهر في واسط اتجاهاً فكرياً واضحاً ويبدو أن انغلاقها وشدة الحجاج منع منتطورها فبقت على حالها حتى في أيام الدولة العباسية ويبدو ان مدارسها كانت تدرس العلوم العامة ويظهر ذلك من كتاب بحشل (تاريخ واسط) حيث لم يترجم إلا رجال الحديث.

المحور الثاني

لقد أثبت المسلمون العرب أن لهم الكفاءة والقابلية في القيادة والقدرة العسكرية والتخطيط والمطاولة والصبر في انتزاع النصر من امبراطريتين كبيرتين والتوسع في الفتوح مما قلل اهتمامهم بالعلم والعمل والصناعة والفنون واكتفوا بالغنائم فامتلكوا الاقطاعات والضياع والأموال، بينما المسلمون الأعاجم واغلبهم من الموالي اتخذوا العلم والعمل والصناعة والفلاحة والفنون سبيلاً لهم ويبدو يرجع ذلك الى سببين رئيسن هما أن العرب المسلمون كانوا هم مادة الاسلام كما قال الخليفة عمر فكانوا هم المدافعون عنه وهم قادة الفتح واستشهد كثير من الصحابة في هذه الفتوح . والآخر أن المسلمون الأعاجم كان اغلبهم من فارس وبيزنطة وهم أهل مدنية وحضارة. يزاد على ذلك هناك اسباب اخرى منها منع التدوين الى ايام الزهري والبيئة الاجتماعية والعادات والتقاليد القبلية .... وغير ذلك.

ان الصراعات والخلافات بين الاتجاهات والأحزاب السياسية والمناقشات والحوارات حو ل الخلافة وتبعاتها وحدوث الثورات المتكررة على الدولة الأموية وبداية ظهور المذاهب والفرق كان سبباً لنشوء مناهج فكرية وعلمية تبنتها تلك الفرق والمذاهب فظهر المنهج النقلي متمثلاً بأهل الحديث وطرقهم بقبول الحديث والرواية والجرح والتعديل ووضع الاسس لهذه العلوم ورفضهم للمنهج العقلي المقابل متمثلاً بأهل الكلام والفلسفة الذين اتخذوا العقل والمنطق اسلوباً في محاوراتهم ومناقشاتهم وقد كتب جابر بن حيان تصورا للقانون العلمي الذي يدل على نشوء المنهج العلمي إذ جعل هذا التصور يعتمدعلى التجربة ويعدها معياراً للتحقيق من الفروض، ومن خلال امتحان الفروض الى معرفة القانون الذي يفسرالظاهرة قيد البحث.[1] إلّا أن هذا المنهج _ كما يبدو_ لم ينتبه له العلماء الّا القلة من أهل العلوم التجريبية والذين لم يطوروا قوانين البحث التجريبي. وظهر أيضاً المنهج الإشاري متمثلا بالمتصوفة وتجاربهم.

وكان نتيجة الصراع بين مدرستي الكوفة والبصرة أن نشأت وتطورت الدراسات وظهرت اصول العلوم في القرنين الثاني والثالث وكانت بغداد هي مركز العلوم وتطورها وتكوين الاصول العامة لمدرستي الكوفة والبصرة ونتج عن ذلك علم جديد هو علم الخلاف بين المدرستين الفت فية الكتب كما هي في الفقه والنحو الكلام والتاريخ ومن علم الخلاف ظهر علم الموازنة في الادب والمقارنة بين اللغات والأمثال والفت في هذه العلوم كتب كثيرة.

ولا بد الاشارة الى أن رغم الخلافات السياسية بين الدولة العباسية والدولةالأموية في الأندلس والدولة الفاطمية في مصر فإن العلماء كانوا يكتبون وينتقلون بين البلدان بحرية من غير تقييد او

[1] الربيعي: عادل محي شهاب: منهج الاستقراء التجريبي عند جابر بن حيان، مكتبة نفح الطيب، بغداد، 1440م/ 2019م: 364.

مراقبة إلا في أحايين قليلة وقد نقلت كتب الشمال والشرق الى مصر والاندلس واليمن جنوب الجزيرة وبالعكس والفت مختصرات وشروح وحواشي عليها والأمثلة على ذلك كثيرة كالعقد الفريد لإبن عبد ربه وشرح المفصل لإبن يعيش وشروح وحواشي على الشيرازي في الفقة الشافعي... وغيرها كثير.

والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه المنتجبين.

المصادر

1. البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر (... – 279هـ) كتاب فتوح البلدان، تح: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1956.
2. بحشل: اسلم بن سهل الرزاز الواسطي(ت 292ه / 905م): تاريخ واسط، تح: كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، 1406ه/ 1986م.
3. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد(510ه/ 1116م – 597ه/ 1201م):المنتظم في تواريخ الملوك والامم، تح: سهيل زكار، دار الفكر بيروت، 1431ه- 1432ه/ 2010م.
4. ابن سعد: ابو عبدالله محمد بن سعد كاتب الواقدي (... – 230ه) الطبقات الكبرى، دار صادر، دار بيروت، بيروت 1376ه/ 1957م.
5. الشرجي: ابو عدبالله سراج الدين عبداللطيفبن ابي بكر بن احمد بن عمر الزبيدي اليماني (747ه – 820ه) أئتلاف النصرة في اختلاف الكوفة والبصرة، تح: طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت، مكتبة النهضة العربية، بغداد، بيروت 1987م.
6. ابن قتيبة: ابو عبدالله محمد بن مسلم (213ه – 276ه) المعارف، تح: ثروت عكاشة، مطابع دار المعارف، القاهرة 1969م.
7. المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (... – 346ه) مروج الذهب ومعادن الجواهر، تح: يوسف اسعد داغر، ط3، دار الاندلس، بيروت 1978م.

المراجع

1. امين: احمد، فجر الاسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت 1969م.
2. الحديثي: د.خديجة، المدارس النحوية، دار الامل، اربدن الاردن 1422ه/2001م.
3. حسن: د.ناجي، القبائل العربية في المشرق خلال العهد الاموي، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، مطبعة التميمية، بيروت 1980م.
4. الحكيم: د. حسن عيسى، الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي، العارف للمطبوعات، بيروت 1430ه/2009م.
5. حمود: د.هادي حسين، عامر الشعبي والحركة الفكرية في العراق في القرن الأول الهجري، المكتبة العصرية، بغداد 1418ه/ 1998م.
6. الدوري: د.عبدالعزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، بيروت 1969م.
النظم الأسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م.
7. الربيعي: عادل محيي شهاب: منهج الاستقراء التجريبي عند جابر بن حيان، مكتبة نفح الطيب، بغداد، 1440ه/ 2019م.

8. الشكعة: د.مصطفى، مناهج التأليف عند العرب، قسم الادب، دار العلم للملايين، بيروت 1984م.
9. العلي: د.احمد صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، دار الطليعة 1969م.
10. علي : عدنان محمد حسن، مراحل التطور التاريخي والمنهجي لعلم الرجال عند الشيعة الامامية الإثنا عشرية، اطروحة تقدم بها الطالب عدنان محمد حسن علي الى مجلس كلية التربية/ الجامعة المستنصرية بإشراف أ . م . د سامي حمود الحاج جاسم، بغداد، 1434ه/ 2013م.
11. الورد: عبدالامير محمد امين، المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير، المكتبة العصرية، بغداد 1997م.